الفصل الرابع

أحداث جنوبي اليمن
في الدوريات العراقية

العراق وجنوبي الجزيرة[1]

«إن النتائج الباهرة التي توصل إليها مجلس الجامعة العربية يعود أكبر الفضل فيها إلى موقف العراق المشرف، ولولا العراق لما وصلنا إلى ما وصلنا إليه».

هذا تصريح أدلى به أحد أعضاء الوفد اليماني في مجلس الجامعة، وهو تصريح صادر عن شخص مسؤول فلا مجال لحمله محمل المجاملة، بل هو الواقع الذي لمسناه من العراق في ظروف شتى منذ تكوينه وهو يكتشف السياسة التي تتبعها حكومات العراق المتعاقبة دون أن تغير منها شيئًا.

وقد تعدت رعاية العراق إلى جيرانه البعيدين فشملهم قسط غير قليل من اهتمامه ورعايته فكانت بغداد محط بعوث علمية تنفق عليها وزارة المعارف بسخاء، وقد جاءت من إمارات الخليج وإمارات جنوب الجزيرة العربية، وكانت صنعاء مقرًا لبعثة عراقية جاهدت كثيرًا، وأنتجت آثارًا مباشرة ملموسة وأخرى سترى في المستقبل القريب.

والشعوب العربية في هذه الأنحاء من بلادها تئن وتشكو من عزلة فرضها عليها حكامها، ومن أوضاع داخلية لا تأتلف بتاتًا مع أحوال شعوب الأقطار العربية الأخرى، وقد بلغ من إهمال المسؤولين فيها إلى حد أن امتنعوا عن استغلال الصناعة والعلوم الحديثة في أبسط أشكالها وصورها،

(١) شيخان عبدالله، أحد أفراد الجالية اليمانية في العراق، مجلة عالم الغد، الجزءان ١٦، ١٧، السنة الأولى، ٢٣ شعبان، ١ آب ١٩٤٥م، ص٣٤.

فالمتجول في تلك الربوع لا يكاد يجد أثرًا من آثار المدنية الحديثة فلا مدارس كما يجب، ولا مؤسسات، أو طرقات معبدة، بل ولا مراكز لإسالة الماء النقي، أو لتزويد الكهرباء، وسيجد أيضًا بأن نظمها المالية والإدارية والاقتصادية خالية من أي تنظيم، مما أدى ذلك إلى نتائج غاية في القسوة، فكان الوباء وكانت المجاعة وذهب ضحيتها الألوف في السنوات الثلاث الأخيرة، وهي بعد ذلك في عزلة تامة حتى عن شقيقاتها في الشمال.

هذه الأوضاع المؤلمة هي التي أملت علينا نحن أبناء الجنوب المتصلين بالخارج أن نطالب الحكومات العربية وفي طليعتها العراق أن تسعى بما لديها وبما تتمتع به من مركز في مجلس الجامعة لإقناع المسؤولين هناك للأخذ بما لا يضرهم من أسباب المدنية الحديثة، وإفهامهم بأن السياسة التي أصروا على اتباعها لا تجر إلا إلى أسوأ النتائج الداخلية والخارجية، وأنها وإن لم تخالف نصوص الاتحاد العربي ولكنها تخالف روحه وأهدافه العامة في الصميم، بل تسبب اختلالاً غير محمود العواقب في حركة الاتحاد وانسجامها.

إننا نعيش في سنوات كلها إنشاء وتعمير وما الاتحاد العربي إلا بعض مظاهر الحركة التي تزداد سرعتها ويتسع نطاقها كلما مرت الأيام وبصورة قد تفوق التصور تتولاها وتشرف عليها الحكومات علاوة على الأفراد والمؤسسات الخاصة، ويزداد تدخل الحكومات في شؤون الشعوب الأخرى، وهذا مما يدعونا إلى مطالبة الحكومات العربية منفردة ومتجمعة بمضاعفة جهودها وتوسيع اختصاص مجلس الجامعة بحيث يتمكن من زيادة كفاءته في العمل إذا ما أردنا اللحاق بقافلة الشعوب، فالرأي العام العربي

الذي أدرك ما يجري في الأقطار القريبة والبعيدة من تطور سريع لا يطمع من الاتحاد بالكثير من الأعمال السياسية فقط، بل ويجب أن تشمل نواحي الاقتصاد والعلوم والمواصلات باعتبارها خطوات أولية لإيجاد ترابط أمتن وأقوى بين الشعوب العربية.

ويدرك العراق بانفراده دون بقية الدول العربية بمميزات خاصة ترجع أكثرها إلى سعة مرافقه الاقتصادية وإلى موقعه الجغرافي، وهذه المميزات هي التي حملت حكومات العراق الرشيدة على تخصيص جهد خاص لرعاية الشعوب العربية المختلفة وبذل تضحيات في هذا السبيل وهي نفسها التي حملتنا نحن أبناء الجنوب على أن نلتمس منه العون لتزويد حركة النهضة فيها وتوسيع مجال المساعدة إليها مجاراة للأوضاع العالمية واغتنامًا للظروف السياسية الحاضرة.

وإذا كانت أمريكة وفرنسا قد أنشأت مؤسسات ومدارس عدة في أنحاء الشرق الأوسط أغدقت عليها من مالها لأغراض عديدة منها نشر ثقافتها ومبادئها فكانت من بعض أسباب النهضة العربية فيه؛ فحري بالعراق أن يسعى لإقامة مؤسسات ومدارس نموذجية في جنوب الجزيرة خاصة لما هناك من مؤهلات عديدة تشجع القائمين بها على النجاح، وقد فعلت ذلك مصر في الحجاز فأقامت مدارس ومدت طرقات، وهذه المؤسسات التي قد لا تتعدى المدارس أو المستشفيات تكون مثالاً عمليًا حيًا لسكان الجنوب على فوائدها وتكون باعثة أو مكملة لحركة النهضة التي أشرف القلائل القائمون بها على اليأس والقنوط لقلة عددهم وضعف ما لديهم من وسائل.

لا مجال لإلصاق التهم، فليس بين العراق والشعوب العربية إلا ما بين

الأخ وأخيه من المودة والإخلاص، وهي علاقة تفرض على العراق أعباء قد تثقل كاهله ولكنها مما لابد منها لمن يريد تشييد بناء المستقبل، هذا إلى جانب النتائج العديدة الأخرى للعراق وسكان الجنوب حسب بل وللشعوب العربية والشرق الأوسط، أيضًا قد يرى فريق ما لمشروع كهذا من صعوبات دولية تمس علاقات العراق مع حلفائه.. وهؤلاء هم الذين لم يلاحظوا تطور العلاقات بين الدول بوجه عام وبين العراق وحلفائه بوجه خاص، فحكومات العراق الذين بشروا بمبادئ الحرية والمساواة وتعهدوا وعودًا ونفذوا تصريحاتها فيما يتعلق بقضية سورية ولبنان، كما أن موقف العراق الحازم تجاه فرنسا لن يجدوا في مشروع كهذا إلا تنفيذًا لتعهدات العراق في التبشير بتلك المبادئ، وتحضير لهدف من أهداف الجامعة العربية التي أعلن المسؤولون قبل شخصيات الحلفاء عطفهم عليها وتأييدهم لها.

عالم الغد: إننا نتفق والكاتب على أن جنوبي الجزيرة وخاصة اليمن، بلدنا العربي الشقيق، في معزل عن بقية الأقطار العربية، وهي عزلة فرضتها طبيعة موقعه الجغرافي.

ويجب أن تتظافر جهود الجامعة العربية لإخراج هذا البلد العربي من عزلته، والتعاون الوثيق معه، وبناء كيان اجتماعي حديث يتفق هو وتطورات العصر، ويقع هذا العبء الثقيل بالدرجة الأولى على حكومة العراق لما أبدت من مساعدة فعلية في كثير من الظروف والأحوال.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

حضرموت تحتضر[1]

يقدر سكان حضرموت بما لا يقل عن ربع مليون نسمة مساحتها أكبر من الجزر البريطانية نفسها ذلك لأن أغلب بقاعها إما صحراوية أو غير آهلة بالناس لأسباب كثيرة أخرى، وقد كانت حضرموت ولا تزال إذا نظرنا إليها من الناحية الجغرافية والتاريخية قطعة من البلاد العربية السعيدة أي اليمن - إن صح أن تسمى اليوم (بالعربية السعيدة) - تحت حكم مولانا الإمام وأنجاله سيوف الإسلام.

بيد أن مطامع الرؤساء السلاطين واشتداد الخلافات والمنازعات الإقليمية والتعصب بين الطبقات جعل أهالي حضرموت يفكرون، إما في هجرها إلى الأبد وقد هاجر منها عشرات الألوف من أبنائها من قبل، أو الالتجاء إلى حكومة تحمي الأهالي من بعضهم البعض.

وكان المخلصون من أبنائها ينظرون إلى الملك عبدالعزيز بن سعود كمنقذ للجزيرة العربية كلها فتوجهوا إليه، وكان آخرون منهم يفضلون الإمام يحيى حميد الدين؛ لما بين البلدين من روابط قديمة ولكون الإمام من آل البيت، والسيادة في حضرموت للأشراف.

ولكن لا مولانا الإمام ولا سيد الجزيرة ابن سعود أبدى استعدادًا حتى للمفاوضة مع من تقدم إليها سرًا وعلانية، الحق أن كلاهما كان معذورًا،

(١) شرحبيل، مجلة عالم الغد، مجلة أسبوعية ثقافية جامعة، السنة الثانية، ١٥ كانون الثاني ١٩٤٧م، ص١٦.

فقد كان الملك السعودي في شغل شاغل في الحجاز ومؤامرات الحجاز، وكان مولانا الإمام أضعف من أن يحرك ساكنًا أمام الأسد البريطاني.

وهكذا اضطر الناس إلى الالتجاء إلى حكومة عدن البريطانية فكانت مفاوضات وكانت زيارات، وما هي إلا أشهر معدودات حتى غدت حضرموت محمية بريطانية يرفرف في عاصمتها علم أبناء السكسون.

واستطاعت الحكومة البريطانية - بواسطة وكيلها السياسي السابق المستر انجرامس - صديق حضرموت - كما كان يدعو نفسه - أن تعقد صلحًا بين القبائل المتباغضة المتقاتلة لمدة ثلاث سنين، ولكن الصلح لم يستمر أكثر من أشهر معدودة حتى عادت الأحوال إلى ما كانت عليه قبل مجيء الإنكليز، وبالرغم من أن النظام الجديد الذي يتبجح به الإنكليز في حضرموت فإن السلب والنهب والقتل والإيذاء كل هذه لا تزال موجودة في كل مكان في حضرموت، وشرعت الحكومة الإنكليزية في إنشاء منظمة لحكومتي المكلا وسيئون، ولكن هذه الإدارة الجديدة عقّدت مشاكل حضرموت وزادتها اضطرابًا.

وجاءت الحرب العالمية الثانية وفقد الحضارم في الشرق الأقصى مهاجرهم التجارية، وحاق بحضرموت من أقصاها إلى أقصاها قحط عام مات بسببه ربع السكان، بالرغم من الإسعاف الذي قامت به الحكومة البريطانية والمساعدات المادية التي وصلتها من بعض أبنائها في الخارج وذوي الأريحية من العرب المسلمين ولاسيما الحكومة المصرية الموقرة، ولا يزال كثيرون مصابين بشتى الأمراض والعلل، واضطر عدد كبير من أبنائها إلى مغادرتها هربًا من الهلاك جوعًا.

على أن حكومتي حضرموت القعيطية والكثيرية وهما الحكومتان التي تسير دفة الحكم فيها حكومة عدن الإنجليزية بواسطة وكيلها السياسي في المكلا لم تهتمّا بحالة الشعب الحضرمي في نكبته، بقدر ما اهتمتا بفرض الضرائب وإجبار الناس على الدفع، مما كان له أسوء الأثر في نفوس الأهالي فحدثت مناوشات بين بعض الأهالي والسلطات كادت تثير حربًا أهلية.

فلما رأى أحرار الحضارم هذه القسوة من حكومتيهما وتلك المخاتلة من حكومة بريطانية لم يسعهم إلا أن يقرروا مغادرة البلاد وهجرها إلى يوم الدين، وقد شرع بعضهم في مغادرتها فعلاً وسيلحق بهم آخرون، والحياة في حضرموت تتعقد يومًا عن يوم فهي تسير من سيء إلى أسوء.

وهكذا فإن حضرموت العربية المسلمة صائرة إلى الفناء المحقق عما قريب.

هذه حضرموت[1]

- ١ -

تنشر الصحف العراقية بين الحين والآخر معلومات مقتضبة عن الجزء الجنوبي من جزيرة العرب الذي تحاول السياسة الاستعمارية إسدال ستار حديدي عليه وإخضاعه إلى نفوذها بشتى الطرق، وهذه السياسة التي تسعى جادة في سيطرتها الكاملة على تلك المناطق الواسعة الغنية بالمعادن والخيرات الطبيعية الأخرى العظيمة الأهمية من حيث الموقع الاستراتيجي، بالنسبة لسياسة نفسها تحاول أن تنشر بين الملا العربي معلومات مغلوطة عن قصد للتقليل من أهمية تلك المناطق العربية الأصلية وإضعاف الاهتمام بها من قبل الرأي العام العربي.

لذلك نجد من الواجب توضيح حقيقة الحال في هذه البلاد شبه المجهولة والتي لا نعلم عنها مع الأسف الشديد إلا ما تبثه الدعاية البريطانية، مع أن هذه البلاد كانت ولم تزل موطن القبائل العربية المشهورة التي لعبت دورًا كبيرًا في تاريخ العرب قبل الإسلام وبعده، ونحن إذ نسوق المعلومات التالية المستقاة من مختلف المصادر المهتمة بشؤون الجزء الجنوبي من بلادنا العربية فكلنا أمل ورجاء في إخراجها من ظلمة النسيان والإهمال إلى ضوء الحقيقة والمعرفة.

تقع حضرموت ما بين مسقط شرقًا، وعدن وصنعاء غربًا، ويحدها من

(١) الدكتور عبدالحميد الهلالي، مجلة البعث العربي (بغداد)، العدد التاسع، السنة الأولى، ١٥ نيسان ١٩٥٢م.

الشمال رمال نجد والربع الخالي، ومن الجنوب البحر العربي، مناخها قاري ولكنه صحي، يحكمها حاليًا السلطان **صالح بن غالب القعيطي** وهو من بيت عريق في النسب والملك، وقد تخرج في إحدى كليات الهند الحربية، ويعتبر السلطان من أعلام الفكر في حضرموت، وهو يتقن اللغة العربية، ويجيد اللغتين الإنكليزية والهندية إجادة تامة، كما أنه ملم إلمامًا كافيًا باللغتين الفرنسية والسواحلية (الحبشية).

وتتمتع حكومة حضرموت باستقلال ذاتي مقيد بالمعاهدة المعقودة مع الحكومة البريطانية عام ١٨٨١م التي بموجبها دخلت حضرموت في الحماية البريطانية، ومع أن الإنكليز لم يشترطوا مشاركة السلطان السلطة في دياره إلا أنهم اشترطوا بموجب تلك المعاهدة ألا تفاوض حضرموت الدول الأخرى في شأن من الشؤون، وقد استثنى من ذلك الشرط الأقطار العربية ولكن بصورة نظرية.

ومن الأمور الجديدة بالملاحظة في حضرموت مع ما فيها من تأخر ملحوظ فصل السلطات إلى تشريعية، وتنفيذية، وقضائية، كما هو الحال في البلاد المتقدمة، ويتحمل المسؤولية الأولى في إدارة شؤون الدولة موظف برتبة (سكرتير الدولة)، ويعادل هذا المنصب منصب رئيس الوزراء في البلدان الأخرى، ومن صلاحيات المجلس التشريعي (ويعرف في حضرموت بمجلس الشورى) سن القوانين وإقرارها قبل موافقة السلطان عليها وتنفيذها.

وجميع القوانين النافذة حاليًا في حضرموت مدنية مقتبسة من القوانين الأجنبية الحديثة عدا الأحوال الشخصية فتطبق عليها أحكام الشريعة الإسلامية.

وكانت حضرموت مقسمة إلى رئاسات كثيرة مستقلة غير خاضعة لإدارة

حكومة موحدة، أهمها سلطنة **الكثيري، ونهد وسيحوت والمهرة**، ومنها أيضًا (**وادي عمد، وآل تميم، ورخية، والعوامر، وآل جابر، وآل باجري، وبن سيف، وسيبان، ووادي يبعث، ونوّح، والمناهيل، والحموم، وبن مخاشن، والدّيّن، والصعير والمعاره.**

وقد فرضت مؤخرًا سيادة الحكومة القعيطية على هذه الرئاسات كلها، وأصبحت حضرموت بعد أن نفذت المعاهدة المعقودة بين القعيطية وسلطنة الكثيري إقليمًا واحدًا تابعة للدولة القعيطية التي تسمى حكومة **المكلا، والشحر، وحضرموت**، وبلغ مجموع سكانها (٨٠٠) ألف نسمة، مقسمين إلى قبائل عديدة أكبرها وأكثرها عددًا **حمير**، ومنهم **يافع، ونهد**، وقبائل **الحموم** من **آل الكلالي** أهمهم **بيت علي، وآل عقيل، وآل حميد، وقبيلة كندة** وأهم فروعها **الصيعر وآل باكثير، وبني هلال، وبني الحارثة، وآل يماني، وقبيلة همدان** وأهم فروعها **الكثيري، والعوامر، وآل جابر، وآل باجري، وبن سيف**، وهناك قبائل أخرى وأهمها **آل عمودي، آل باوزير، وآل نعيم، والمخاشن، والدّيّن، والمعارة.**

أما مدن الدول القعيطية فعديدة متباعدة بعضها عن بعض أهمها المكلا وهي عاصمة الدولة، ويبلغ مجموع سكانها خمسة وأربعين ألف نسمة، وتليها الشحر في السعة، ثم (**غيل باوزير) وشبام، وتريم، وسيئون، ودوعْن، والحامي، وحجر، وميفع وحبان، وقبرهود، ودمون (مدينة امرئ القيس).**

وقد أخذ في السنوات الأخيرة بتأسيس المدارس على النظم الحديثة، وإيفاد البعثات العلمية إلى مختلف الأقطار العربية وفي مقدمتها العراق ومصر وسوريا والسودان، كما أسست في مدينة المكلا مدرسة لتدريب

الضباط العسكريين والشرطة، وأنشأت دار للمعلمين ومدرسة ثانوية للبنين في مدينة غيل باوزير، والتعليم الأولي الإلزامي في بعض المناطق، والمدارس الابتدائية منتشرة في المدن والقرى المهمة.

كما أسست مدرسة لتدريب الموظفين على الشؤون الإدارية والقوانين المحلية، وحضرموت غنية بالآثار العتيقة وأبرز ما فيها أطلال المدن المندرسة ومقابر الملوك الماضين والكتابات الحميرية القديمة المنشورة على الأحجار الصلدة عدا بقايا آثار الحصون والقلاع والقصور التي تلعب في زمنها من الإتقان والجسامة ما يعجز عن الإتيان بمثله في الوقت الحاضر، إذ بلغ عدد طوابق بعضها العشرين طابقًا في حين لا يتجاوز ارتفاع أعظم بناية في حضرموت حاليًا تسع طوابق، ومن يتبع معالم تنظيم الري في الماضي الغابر لهذه المناطق يقر مندهشًا بعظم المقدرة الفنية والتنظيمية لسكان هذه البلاد ورسوخ أقدامهم في الحضارة والعمران التي قل أن يكون لها مثيل في تاريخ العالم.

وحضرموت بلاد زراعية تكثر فيها زراعة النخيل وجوز الهند، وتنمو في بقاعها مختلف أنواع الحبوب والتبغ وبعض أنواع الفواكه، وتجمع من جبالها اللبان والصبر والمر.

ولم يبذل الحضارمة حتى قبل الحرب العالمية الأخيرة جهودًا مذكورة لتنشيط الزراعة في بلادهم لاعتمادهم على التجارة التي تدر عليهم أرباحًا طائلة، فقد تجاوز معدل ما كان يرسله التجار الحضارمة المقيمون بإندونسيا إلى ذويهم في حضرموت قبل الحرب الأخيرة ستة ملايين من الجنيهات في السنة الواحدة. ولكن بالنظر لظروف الحرب وما رافقها وتسبب عنها من

صعاب فقد ضعف إن لم نقل انقطع هذا المورد عن سكان حضرموت، الأمر الذي أدى إلى العوز والفاقة في بعض المناطق وأدى إلى الاهتمام بالزراعة وتنشيطها لذلك أقيمت عدة سدود لخزن المياه وفتحت الجداول للإرواء وحفر الآبار الارتوازية في مختلف الأنحاء، وشجعت الحكومة المتشبثين من السكان على استغلال الأراضي الزراعية بتأسيس شركات مساهمة عامة أخذت بوجه خاص في استثمار أراضي (مولى ليمه) المهمة الواقعة في منطقة الحامي من لواء الشحر.

والقطر الحضرمي غني بالمعادن وأهمها النفط، وقد أخذت بريطانيا تولي هذه المناطق عناية خاصة للبحث عنه واستغلاله الثابت، إن النفط الحضرمي سيكون أغزر ما عرف في الجزيرة العربية حتى الآن، ومن دلائل عظم اهتمام بريطانيا بذلك جسامة المساحة التي تنقب فيها، وكثرة المطارات التي شيدتها والستار الحديدي المتين الذي أسدلته على تلك المناطق وإنشاء مصفى النفط الحديث في منطقة عدن القديمة. أما المعادن الأخرى الموجودة بكثرة فهي الملح الصخري والمنغنيز والحديد.

ويعتبر الحضارمة من أنشط التجار على سواحل المحيط الهندي، وقد انتشروا في المناطق الواقعة على هذا المحيط من مدغشقر وشرقي أفريقيا إلى الهند والملايو وجاوه وأستراليا واليابان، ويستخدم التجار الحضارمة في أغلب شؤون النقل السفن الحضرمية البحرية التي يملكون منها ما يزيد على ١٠٠٠ سفينة بين بخارية وشراعية.

وأهم ما يصدر من حضرموت السمك والتبغ والعسل والموالح (نومي

البصرة) واللبان، ولابد من اختتام هذا البحث الموجز عن حضرموت من التطرق إلى المحميات التسع التي كثير ما وردت أخبارها في الصحف بين حين وآخر، والمحميات التسع مناطق عربية حميمة، وكانت من مناطق المملكة اليمنية، وتعد من أخصب الأراضي العربية الجنوبية؛ ولذلك أخذت بريطانيا توسع نفوذها تدريجيًا هناك مما جعلها في خلاف مستمر مع حكومة اليمن، وكثيرًا ما أغارت الجيوش اليمانية واسترجعت بعضها عنوة وقد تقابلها بريطانيا بالمثل مستخدمة الطائرات والوسائل العسكرية الأخرى لإعادة ما فقدته والسيطرة على مناطق جديدة إذا كانت الظروف مواتية، ولذلك لم ينطبق لفظ المحميات على حقيقة عدد هذه المحميات إذ يقل عددها حينًا ويزيد حينًا آخر حسب الظروف، ويضم لفظ المحميات التسع في الوقت الحاضر إحدى عشرة منطقة هي (**لحج، وأبين، والحواشب، والصبيحة، والشعيب، والقطيب، والضالع ويافع العليا، ويافع السفلى، والعوالق العليا، والعوالق السفلى**).

وأهمها **لحج** ويحكمها **السلطان العبدلي**، ولم تدخل حضرموت ضمن هذه المحميات في يوم من الأيام كما لم تكن موضع نقاش أو خلاف ما بين اليمن وبريطانيا، وقد دارت في الأيام الأخيرة مباحثات بين بريطانيا والسلطان القعيطي غرضها توحيد المحميات المذكورة سابقًا وضمها إلى سلطته المكلا وشحر وحضرموت.

هذه حضرموت[1]

- ٢ -

نشرنا في الجزء التاسع من هذه المجلة مقالاً للدكتور عبدالحميد الهلالي بعنوان هذه حضرموت، وقد جاءنا من الأستاذ عقيل بن علي مراقب بعثة حضرموت الأهلية في دمشق هذا التعليق القيم ننشره شاكرين. (المحرر)

لقد اطلعنا في مجلة البعث العربي الصادر في ١٥ نيسان ١٩٥٢م على مقال لكم تحت عنوان (هذه حضرموت) قدمتم به الشمال الغربي لهذا القطر المنسي من جنوب جزيرة العرب، وإذا كان أداء الواجب القومي لا يحتاج إلى إسداء الشكر عند أمثالكم في الطليعة في حركة القومية العربية لبناء وحدتها فإنني لا أستطيع أن أكبت عاطفة تقدير هائلة تجاه اهتمامكم بالجنوب العربي وقضيته، في الوقت الذي تتآمر على هذا الجزء الغالي من صميم الوطن العربي قوى الشر والطغيان من الاستعمار وذنبه الإقطاع في قمع شعوره القومي العام، وتشتت طاقته في جحور الإقليميات الضيقة وترسيخ النزعات القبلية المقيتة واستغلالها أبشع استغلال.

والحقيقة أن الجنوب العربي بما تسدله السياسة الاستعمارية على مآسيه من ستار حديدي تضطرب حوله الدعايات المضللة والتلاعب في سبيل مصالحها حتى بالحقائق الاجتماعية والتاريخية، كل ذلك يجعل الباحث في

(١) عقيل بن علي (دمشق)، مجلة البعث العربي، العدد الحادي عشر، السنة الأولى ١٥ مارس ١٩٥٢م، ص١٢-١٤.

شؤونه يواجه شيئًا من الصعوبة في استخلاص الحقائق الموضوعية المجردة والخروج بها من اعتباراتها المحلية الضيقة إلى حيث يجب أن تكون ذات مفهوم قومي واسع، ففي الجنوب العربي إمارات إقطاعية في كل منها مستشار بريطاني يسعى بينها بالتفرقة، ويطمع كلاً منها بالخداع وبالمناورات المغرضة في الاستيلاء على الأخرى، وفي هذا الجنوب شعور إقليمي وقبلي رسخه الاستعمار بين إماراتها إلى حد يشعرها بالعداء بين بعضها، وبالاشمئزاز من مجرد ذكر الوحدة القومية مع اليمن كخطوة إلى الوحدة العربية الكبرى، وفي الجنوب الإنكليز يمعنون في التغرير واستغلال البساطة في الأمراء والأهالي منهم لحل مشاكلهم على الحدود مع اليمن، يهددونها في مناورة خلابة بإقامة دولة من الإمارات، ومن أجل تنفيذ مآربهم في الإمارات يتحيزون لهذه ويضربون بها الأخرى، حتى إذا استقام لهم أمير وجعل من نفسه أداة طيعة للتنكيل بالشعب في سبيل توطيد مصالحهم قاموا بدعايات للتغطية على أعمالهم الإرهابية في هذه الإمارة بذكر المشاريع الكذابة، والإصلاحات القائمة، على حين أنهم يتهمون أميرًا آخر بأسوء التهم كما هو الحال في حوادث الجنوب الأخيرة، والنتيجة من كل هذا تتلخص في ترسيخ الحكم الإقطاعي وعقد اتفاقيات البترول وإبقاء الشعب في هذه الإمارات على حاله السيئة في التفرقة والجهل والمرض والجوع.

ومن هنا كان عمل الباحث العربي في شؤون الجنوب شاقًا؛ لأن أهم ما يتوجه إليه هو تمحيص المصادر التي يرجع إليها والاطمئنان إلى خلوها من العنعنة القبلية والدعايات المغرضة التي وضعت لخدمة الاستعمار معاكسة وجهات النظر الوطنية في نظرتها إلى هؤلاء الحكام المارقين وفي

مصالحها إلى هناك تغطيات مساوئ الاستعمار والإقطاع في وقت واحد.

وقد حوى مقالكم الكثير من الحقائق إلا من نقاط رأيت أن ألفت نظركم إليها معتبرًا حرصكم على موضوعية البحث وخدمة الجنوب العربي من ناحية قومية بحتة.

(١) أخذتم من المصادر التي استندتم إليها في مقالكم: إن الإنكليز لم يشترطوا مشاركة السلطان القعيطي السلطة في دياره بناء على المعاهدة المعقودة مع الحكومة البريطانية عام ١٨٨١م، والحقيقة أن الحاكم الفعلي لحضرموت هو مستشار بريطاني.

وقد تلت معاهدة ١٨٨١م معاهدتان إحداهما معاهدة عدن ١٩١٨م التي اشتركت في توقيعها أيضًا الإمارة الكثيرية، والأخرى المعاهدة الأخيرة التي حصل وفقها التدخل الفعلي المباشر في حضرموت عام ١٩٣٥م، ورضي بموجبها كل من الأميرين القعيطي والكثيري بإقامة مستشار بريطاني في إمارتيهما بعد أن تعهدا بالاستماع إلى نصائحه.

(٢) وجاء من الأمور الجديرة بالملاحظة في حضرموت فصل السلطات الثلاث، والحقيقة تخالف هذا ؛لأن مجلس الدولة (وليس مجلس الشورى كما ورد في المقال) إنما يتألف من رجال الحكومة وكبار الموظفين وثلاثة أو أربعة من المحاسبين المعنيين، وبرئاسة السلطان والمستشار، ولست بحاجة إلى القول بأن هذا المجلس أداة طيعة في يد المستشار البريطاني.

أما استقلال القضاء فيكفي أن أذكر لكم بخصوصه أن المحكمة التي تشكلت في المكلا لمحاكمة رجال الحزب الوطني الذين عارضوا في استخدام سكرتير الدولة الجديد من السودان، لم تسمح لهم بالدفاع عن

أنفسهم، وأصدرت أحكامها عليهم بالسجن، حيث لا يزالون حتى الآن في ظلام سجن الثورة إحدى ضواحي المكلا.

(٣) ويظهر أن المصدر الذي اعتمدتم عليه فيما يختص بالتقسيمات الإقطاعية السياسية في حضرموت لم يبحث الواقع من حيث هو، هذا إن لم يخل من هوىً حزبي خاص، فقد قال هذا المصدر: إن الحكومة القعيطية قد فرضت سيادتها على إقليم حضرموت، وبذلك أصبح الإقليم كله تابعًا لها، والحقيقة أن وحدة حضرموت هي أمنية الشعب لا الحكومة التي تعارض هذه الأمنية ولكن الواقع غير ذلك.

ففي الداخل من حضرموت توجد الإمارة الكثيرية ذات التاريخ الوطني العريق في حكم حضرموت منذ عام ٧٨٦هـ إلى الآن لم ترتبط بالإمارة القعيطية بعلاقة اتحاد واندماج، وعاصمتها **سيئون**، وتلحق بها الألوية الثلاثة بمدنها الكبرى **تريم، والغرفة، وغيل بن يمين**.

أما وحدة حضرموت فقد نادت بها الطليعة المثقفة في حضرموت منذ خمس سنوات وجعلت أساسها التمثيل الشعبي المحض، ولكن الحركة حوربت من الطرفين: الإنكليز الذين خشوا خطرها الشعبي، والإمارتين اللتين أرادت كل منها أن تكون في مصالحها وأن تقوم على أساس قبلي، وبذلك فشلت الحركة مؤقتًا وشرد دعاتها، وقد حلت محلها الآن حركة اتحاد الجنوب التي استعطبت في عدن، والتي عطل الإنكليز منذ شهر جميع صحفها (النهضة)، (الشباب)، (البعث)، (الأخبار).

(٤) يقرر المصدر الذي رجعتم إليه في مقالكم لم تكن في يوم من الأيام موضع نقاش أو خلاف ما بين اليمن وبريطانيا، والحقيقة خلاف هذا

إذ الواقع أن اليمن ظلت تعتبر الجزء الجنوبي من اليمن جزءًا طبيعيًا لا يتجزأ منها، وحضرموت معروفة من القديم أنها مخلاف من مخاليف اليمن، ولو رجعتم إلى معاهدة **١٩٣٤**م المعقودة بين اليمن وبريطانيا والتي تدعى بمعاهدة (بقاء الأوضاع كما هي) للاحظتم أن الإمام وافق على ألا يقدم طلبًا خاصًا بمحمية عدن لمدة **٤٠** سنة على شريطة أن تبقى الإدارة في المناطق الجنوبية التي أحلتها جنوده في ذلك الوقت ومضافًا إليها **يافع والعوالق ولحج** وحضرموت بيد أمرائها وعدم تدخل كل من الطرفين في شؤونها، أما من ناحية الواقع التاريخي.

أما من ناحية الهدف القومي فأنتم تلحظون أن الفكرة التي تحاول ألا توجد علاقة بين اليمن وإمارة من إمارات الجنوب إنما هي فكرة انفصالية، تخدم مآرب الاستعمار قبل مصلحة الإقطاع، ونحن بالرغم من تأخر الأوضاع في اليمن وفساد الحكم القائم إنما ننظر إلى قضية هذه العلاقة من وجهة نظر قومية عالية، ونعني أن تقوم الوحدة بين أجزاء اليمن على أساس شعبي، وفي ظل نظام دستوري خطوة من خطوات الوحدة العربية.

هذه أهم الملاحظات على المقال أقدمها إليكم ويقيني أنكم بتطبيقكم لها على الحوادث الأخيرة الغامضة في الجنوب العربي ستدركون أن السلطة في حضرموت وفي الجنوب العربي جادة في تشويه الحقائق وفي إخراج مصادر لوصف الحالة لا يطمأن إليها كل ذلك للتغطية في أعمالها وتدابيرها الاستعمارية القائمة على قدم وساق في البحث عن البترول وإنشاء المطارات الحربية وتأجير الضمائر الرخيصة لقمع الحركات الشعبية ثم تغطيتها بالدعايات الكذابة.

حضرموت اليوم[1]

ومن الحضارمة من يلفظها (حضرموت) مضمومة الميم بدلاً من فتحها وهي عند صاحب الكتاب من المركبات المزجية نحوًا، ويبدو أن هذا التركيب أطمع خلفاءه من بعده أن يداعبوها فيما ذهبوا إليه من أنحاء أعرابية، يوقعونها على صدرها تارة، وفوق عجزها تارة، وقد يقيدونها أن تنصرف تارة أخرى.

وهذه التسمية باسم يوحي بانقباض الصدور، هل أتاكم حديثها؟ أما تذكرنا بالموت الذي نفر منه وهو ملاقينا؟ حين كانت فيما غير تدعى بالأحقاف، حيث أنذر أخو عاد قومه، وإني لتارك الإجابة لكتب التاريخ القديمة صدقت فيما تجيب أو كانت من الكاذبين، وهي تحدثنا بصدد هذه التسمية التي اتخذت مني مادة طريفة لدعابة المداعبين الظرفاء من أخواني المقتدرين حديثًا أزعم أنه لا يكاد يخلو من ذبذبة واضطراب، ولكنه جملة وتفصيلاً يردها إلى سبب من بضعه أسباب.

وتصوير علة هذه التسمية أن **عامر بن قحطان** الذي يرتفع نسبه إلى حمير كان مشغوفًا بالبطش الشديد، مؤثرًا سفك الدماء فيما يخوض من معارك غير مترفق في جز الرؤوس، وإراقة الدماء، فكان الناس إذا ترامى إلى أسماعهم مقدمه رفعوا من أصواتهم خائفين وجلين ينادي بعضهم بعضًا حضرموت!!

(١) عمر باوزير، مدرس بكلية الشريعة، مجلة البعث العربي (بغداد)، الجزءان الرابع عشر والخامس عشر، السنة الأولى، ١٥ تموز ١٩٥٢م، ص٢٠-٢٤.

وباندراج الزمن وانطواء العهود سكنت الضاد من (حضر) بعد فتحها فأمست حضرموت، على أن بعض المؤرخين القدماء يعدها مخلافًا من مخاليف اليمن.

تلكم نبذة سقتها عن ذلك الإقليم من الجانب اللفظي تحويرًا، أو تطويرًا، أو تعليلاً، وأجد البحث يدعوني أن أزجي إليكم نبذة أخرى عن موقعها الجغرافي بغية أن أقربها من الأذهان.

تقع حضرموت من سطح الكرة الأرضية على مبعدة خمس عشر درجة عرضًا شمال خط الاستواء، وخمسين درجة طولاً شرقي "قرينتش"، ويحدها من الشمال الربع الخالي، كما يحدها من الجنوب البحر العربي، أما من الشرق فيحدها (ظفار) المضروب بها المثل (من دخل ظفار حمر)، كما يحدها غربًا محمية عدن، وهي كما نعلم ذلكم الجزء المبتور من أمة اليمن السعيدة أو الشقية، لست أدري فقد تكون سعيدة بشقائها ألم يقل المتنبي:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم؟

أما مساحة حضرموت فتبلغ نحوًا من (١٠,٠٠٠) ميل مربع، أو قرابة (١٢٧,٥٠٠) كيلو متر مربع. ومن عجب أن كتب الجغرافيا هي في معرض التحدث عن هذا القطر لا تسخو عليه واصفة بأكثر من أنه إقليم قاحل ماحل!!

مع أن حضرموت - ومعذرة إلى القارئ فليس هذا دفاعًا عنها - ذات وديان خصبة، ومجالي خضر، ونصيب من خيرات إلا لما قامت في ربوعها قديمًا حضارة زاهرة رسخت أقدامها في هضابها المترامية، وقبل أن نمس بما مست به من تغيرات مناخية يرجعها المؤرخ الروماني إلى القرن السادس

المسيحي تقريبًا.

وحضرموت فوق هذا غنية بما كمن في أحشائها من آثار ذات قيمة وثروات معدنية كشفت عنها في أعقاب الحرب الكونية الثانية مجاهر الراسخين في علم طبقات الأرض، ونفذت إليها أبصار الواغلين في مفاوزها.

ولقد عانت حضرموت في أغلب أطوارها التاريخية أوزار الحروب بين سكانها، وأوذيت أذى كبيرًا في حرثها ونسلها وفقدت أمنها وطمأنينتها وقوت أو هجرت بعض مناطقها من جراء بغي القبائل بعضها على بعض.

وقد تطاولت هذه القلاقل بين السكان جنبًا من الدهر أمسى في تاريخها مذكورًا ثم كانت النهاية أو خاتمة المطاف أن شطرت حضرموت شطرين اثنين: القسم الساحلي أو الجزء الأعلى منها وهو يضم **الشحر** فيما يضم. والشحر معناه لغة: الميناء، وقد تردد ذكره في بطون التواريخ القديمة لخطورته وهو يقع على ساحل المحيط العربي، وينطوي تحت هذا الجزء أيضًا (المكلا) ومعناه الميناء كذلك، وقد جاء هذا الأخير في الشحر فقضى عليه ملاحة أو كاد (المكلا) اليوم أهم موانئ حضرموت الساحلية، وفوق سفح جبل شامخ يطل عليه تربض مدينة المكلا عاصمة الدولة القعيطية الحاكمة للقسم الأعلى من حضرموت مع بعض ألوية أخر تتغلغل في أعماق الداخل، وسلطان هذا الجزء من ذياكم الإقليم صاحب العظمة **صالح بن غالب القعيطي**، ونظام الحكم في هذه الأسرة وراثي بعد تعديل طرأ عليه أخيرًا وولي عهد السلطان الحالي نجله **الأمير عوض بن صالح**، وبهذه

السلطنة في إدارة سياسة الجزء التابع نظم حديثة أدخلت في أعقاب الحرب العالمية الثانية تستمد نفوذها من المرجع الأعلى وهو ما يسمونه هناك بمجلس الدولة المؤلف من سبعة عشر عضوًا ويرأسه عظمة السلطان نفسه، ومن أعضائه السكرتير وهو بمثابة رئيس الحكومة، ومستشار إنجليزي مقيم.

أما أعضاء هذا المجلس الآخرون منهم من وجوه البلاد وأعيانها حيث ينتخبون انتخابًا.

وفي الجملة تتشكل السلطنة القعيطية إداريًا من ألوية خمسة لكل لواء أنظمته وتوابعه وملحقاته، وذلكم ما يمس القسم الساحلي أو الجزء الأعلى من حضرموت صورته مقتضبًا.

أما الشطر الداخلي منها فتحكمه سلطنة أخرى هي السلطنة الكثيرية، وهذه لها مجلس دولة أيضًا بيد أنه يتكون من أعضاء ستة فقط، ثلاثة منهم رسميون هم عظمة السلطان نفسه **الحسين بن منصور** وولي عهده، وثالث الثلاثة المستشار الإنجليزي المقيم، ولهذه الحكومة أو السلطة خط أيضًا من نظام إداري حديث غير أن ألويتها لا تعدو الثلاثة عدًّا، بضمنها لواء (تريم) ولواء (سيئون) والأخيرة هي عاصمة السلطنة الكثيرية.

ولهاتين المدينتين شهرة واسعة في القديم وأحسبهما مازالتا تحتفظان بها عمرانًا وحضارة وعلمًا، وبخاصة في نواحي الدراسات الإسلامية والدينية، ونحن إذ لم نحط علمًا بما يسير فيهما من حياة اليوم بل بما يجري في جوانب حضرموت كلها تمرد ذلك على ما يبدو لي عزلة غرقت فيها البلاد إلى الأذقان.

ثم ماذا؟ ثم هاكم شيئًا من حياة القضاء والتشريع في ذلك الإقليم، إن

القضاء في ربوع الأحقاف مستمد من الشريعة الإسلامية السمحة نصًا وروحًا على حد تعبير رجال القانون وفقًا لمذهب الإمام الشافعي رحمه الله، على أن لحضرموت بعض المحاكم المدنية وقد أنشئت حديثًا ووظيفتها أن تصدر مراسيم متى دعت الحاجة إليها، ولكن هذا الضرب من المحاكم لا يكاد يذكر حالاً في حين المحاكم الشرعية الموزعة في ألوية السلطنتين داخل حضرموت وعلى سواحلها.

وليس من شك أن هذه النظم الحديثة التي ظفرت بها حضرموت اليوم إداريًا قد أشاعت في جوانبها أطيافًا من السكينة والاطمئنان وأذاقت الناس من بعض خوفهم أمنًا.

وأحسب مناسبًا بعد هذا العرض الخاطف عن ذلك الإقليم جغرافيًا وإداريًا وتشريعيًا أن أذكر شيئًا عن ثروته الطبيعية، وإن كنت أحس بشيء من حرج هنا لقلة بضاعتي فيما أعرض قلتها فيما عرضت إذ كل ما تخرجه أرضه وتنميه تربته ما عليه اعتماد الحياة الرئيس لا يعدو الذرة والتمر الذي يكثر نخيله في أوديته وإن له لمكانة في نفوس الحضارم تكاد تصل مرتبة القداسة إذ ساغ هذا التعبير.

وفي هذا الشطر الساحلي في حضرموت يزرع (التنباك) وإنه لمن النوع الجيد حقًا، ثم يصدر إلى الخارج شأن غيره من صادرات أخرى ويكثر على شطآن الساحل السمك أيضًا تختلف أنواعه وما كان أكثر من تقذف منه الأوذى فيتراكم بعضه فوق بعض حتى أمسى مألوفًا عند القوم اتخاذه ضربًا من ضروب السماد الزراعية!!.

بيد أنه يخيل إلي أن الوعي الاقتصادي اليوم قد استيقظ في ذهن

الحضرمي إلا لما أنشأ بعض رجال المال هنالك شركة وطنية لاستغلال هذه الثروة وقد كانت مضاعة أو في حكم المضاع.

وإذا بات حرمان حضرموت من الثروة النباتية لقلة روافدها وشحة مياهها فإن الله قد نفحها بثروة أخرى أودعها أحشاءها وبخاصة في مناطقها الساحلية حيث يوجد قرابة خمسين نوعًا معدنيًا ذكرتها لنا تقارير الخبراء الدقيقة عنه وقادتهم إلى حضرموت دارسين منقبين باحثين وإنها لمعادن جد هامة نذكر منها على سبيل المثال الحديد والنحاس والشب والفحم الحجري والكحل والقار. ولقد كشف الكاشفون في الآونة الأخيرة عن حقول ثروة للبترول في إحدى مناطقها وتدعى **شبوة** فكان أن أثار هذا الكشف زوبعة في سياسة حضرموت واليمن من جهة وبريطانية من جهة أخرى.

وأزعم أن هذه الثروات الدفينة في أعماق حضرموت اليوم هي التي أغرت الأوربيين فجاب ذلك الإقليم جوابون من الألمان، والإنكليز، والهولنديين، ولو لم بث وراء الأكمة ما وراءها كما يقولون لما قذف هؤلاء وأمثال هؤلاء بأنفسهم في أهوال المجاهل تحف بها الأخطار من جميع أقطارها، فكان من مرتاديها الهولنديين **المستر فان درميلن** يوم أن بعثته حكومته ربيع **١٩٣٦م** ليدرس حضرموت عن كثب ناظرًا للرابطة الوثيقة بين إندونيسيا والحضارمة ثم أثمرت رحلته هذه بأن وضع كتابًا قيمًا وسع انطباعاته ومشاهداته هناك ولعل ما أخفته حقائبه يوم آب من رحلته كان أجل قيمة وأكثر خطرًا.

ولكن الإنسان يقدر في حياته وكثيرًا ما ضحكت من تقديره الأقدار.

ثم قضت على آثار هذا السائح المسز (فريا ستارك) الإنكليزية وقد ظلت تتردد على حضرموت زمنًا، ثم وضعت هي الأخرى ثلاثة كتب عن

جولاتها، كما ألف المستر (**انجرامس**) كتابًا آخر بعد مقامه بحضرموت مستشارًا بضع سنين.

ومن عجب أو أسف أو ألم أن أبناء عمومتنا يكاد بعضهم يجهل موقع حضرموت في أطلس كوكبنا الأرضي ثم ... ثم إليكم شيئًا عن حياة المواصلات في ذياك الإقليم وهي وإن كانت لا تزال في طور بدائي إلا أنها تطوي كثيرًا من بقاعه، وحضرموت من هذه الناحية بل من نواحي أخرى أسعد حالاً موازنين بينها وبين أخوتها المحميات الجنوبية، نعم كانت وسائل النقل إلى عهد غير بعيد هي الوسائل المألوفة قدمًا غير أن التطور الحديث وجد سبيله إلى حضرموت اليوم فأصابها.

إذ شقت طرق في كثير من مناطقها ومهدت دروب وأصلحت عتاب لم تكن لتنقطع في الماضي إلا بشق الأنفس، ومهما يكن في شيء فقد ظفرت حضرموت اليوم بنصيب من وسائط النقل الحديثة، وأن تعجب ما عجب لما أنشئ فيها من مطارات تربطها بمدينة عدن من جهة، وتصلها بأطراف من الكون في لمحات من عمر الزمان قصار.

وبعد فلعل من الخير أن أتناول الحركة العلمية والأدبية غير موغل في طيات الماضي منتزعًا من أعماقه صورًا تمثل عصور حضرموت الإسلامية زاهية بعلمائها مزهوة بقضائها.

وما أظن التاريخ يضيق علينا إذا ما استقيناه بجد عنهم يتولون مناصب القضاء وينظرون فيما يدلي إليهم من شؤون الفتيا في كثير من الأقطار الإسلامية، وبحسبي الوقوف عند هاتين الحركتين في حضرموت اليوم ومدى

حظها من نعمتها.

ظهرت في هذا الإقليم بشطريه طلائع من يقظة، فكان أن أسست مجموعة من المدارس العصرية لا بأس بها حكومية وأهلية ما بين ابتدائية ومتوسطة وثانوية تضم الجنسين إناثًا وذكرانًا، ثم تتابعت البعوث العلمية ربيعًا بعد ربيع متجهة إلى مصر حينًا، وإلى الشام حينًا، وإلى العراق أحيانًا، وهذه البعثات تدرس اليوم مكفولة النفقات من فضل تسبغه عليها حكومات الأقطار العربية، وإنه لصنيع جميل عسى أن تحفظه حضرموت لذويه فيما تستقبل من الأيام.

أما المشرفون على سياسة التربية، أو القائمون على إدارة المعارف والتعليم هناك فإنهم يستقدمون غالبًا من خارج حضرموت، وجل هؤلاء المربين من السودان.

ولحضرموت سرٌ لا ترقى إليه الأفهام في صدود تبديه عن الإفادة من النابهين من أبنائها، وقد وفقوا في تحصيلهم في معاهد الأقطار العربية، فكان أن رضوا بالإقامة حيث أكملوا تحصيلهم، منهم بمصر، ومنهم في العراق وبالحجاز، ومنهم في قرى حلب، معتذرين إلى الشاعر القديم، وقد تصرفنا في قوله استجابة لمعان تداعت في الصدر وأنا أسوق الحديث.

وحركة حضرموت الأدبية تهمس في أذني أن أشير إلى حظ القطر من فترات الظلام، وقد تدجت على إقامة حينًا من الدهر ملاحظين عزلة طبقت عليه منزويًا في ذياك الجنوب، وعن يمينه إمارات كئيبة بعثرت على ساحل يمتد نحو ٢٠٠ كيلو متر جنوبي الجزيرة العربية، ثم لبثت حضرموت سنين

حائرة لا تكاد تحس للحركة الأدبية الحديثة ركزًا، قاصرة الطرف على ميراث من أدب سلفي لا تنبض أوزانه بحياة أدب هزيل ورثته في عصور مظلمة واحتفظت به برغم تجوال الضاربين من مناكب الأرض من الحضارة بادئ ذي بدء يبتعون رزقًا تسعة أعشاره في تجارة شغفتهم من القديم حبًا إلا لما خصهم شاعرنا القديم بقوله:

وطوى القياد مع الطراد بطونها طي التجار بحضرموت برودا!!

وإنه لحب الهمام تكاثره بحيث صدهم بدء هجرتهم أو كادوا يصدهم عن طلاب مثل رقيقة تهذيبًا وتثقيفًا، وأعتذر إذا ما ثار التاريخ محتجًا على ما أذهب إليه بطائفة فاضلة من رجال حضرموت قضاة وإداريين في موطن هجرتهم الأولى.

نفرت طوائف غير قليلة من الحضارمة تاركة بلادها تقصد الهند حينًا! تؤوم أفريقيا وشواطئها الجنوبية حينًا حيث تقبض اليوم على زمام من أزمة الحياة الاقتصادية هناك، وكذلك شأنها في كل قطر تهاجر إليه.

أما كثرة القوم الكاثرة فقد أبعدت في قصدها فاتخذت طريقها في البحر سربًا، ووجهتها جزائر إندونيسيا الممرعة، حيث تقدر جموعهم بها حوالي مائة ألف، وهجرتهم هذه إلى ذلكم الأرخبيل تعد أكبر الهجرات الحضرمية أو بعدها أثر لما تركته من آثار في حياة حضرموت ماديًا وذهنيًا واجتماعيًا، ولما أحدثته كذلك في نفوس سكان البلاد بانتزاعها عقيدة البوذية من نفوس سبعين مليونًا بعد أن شرح الله صدورهم للإسلام يغارون عليهم اليوم ويعتزون به متمسكين بعرى له لا انفصام لها.

وقد امتد ظل إقامة الحضارم في تلك الفردوس الأرضي مستطيبين الحياة بين الأهليين معززين محترمين ناظرين فيما حولهم يشهدون مما يكن لهم به عهد في وطنهم الأول من مظاهر الحياة الحديثة أيًا كان لونها، في حين بات المستنيرون منهم على صلات غير مجذوذة بنهضات البلاد العربية ونتاجها الفكري متابعين اتجاهاتها الأخرى، وتفاعل كهذا شأنه في أكبر الظن أن يؤثر أبلغ الأثر في نفوس الحضارم وفي تفكيرهم وفي اتجاهاتهم الأخرى، وهكذا كان، فخلقت في النفوس رغبات وانبعثت آمال بعد أن طويت وود كل حضرمي أن تظفر بلاده بنعمة من تقدم أو آثارة من علم وعرفان، وراح الآيب من ديار هجرته يحمل معه رغباته وأمانيه ليعلنها في ربوع وطنه، وهكذا ظهرت الحركة الأدبية والعلمية الحديثتان متأثرين كما أرى ببعض من عوامل خارجية أحبب إلي بها من عوامل.

وبعد فهل أطلت؟ أحسبني قد فعلت وأراني مرغمًا هنا أن أطوي ما بقي لدي من حديث يمس جوانب أخرى من جوانب جزء لا يتجزأ من الوطن العربي الأكبر مؤملاً سنوح الفرصة لأصل ما كنت قطعت أو أنشر ما طويت.

السياسة العربية[1]

طلعت الصحف في اليوم السادس والعشرين من شهر أيلول تحمل عناوين الكفاح العربي في الجنوب العربي، فقد عطلت بريطانيا دستور عدن، وفرضت الحكم المباشر من قبل حاكمها في المنطقة، ومعنى ذلك أن بريطانيا قد أسفرت عن الوجه الحقيقي الاستعماري الذي تمارسه في هذا الجزء العزيز من الوطن العربي، ومعنى ذلك أن بريطانيا تعادي سكان هذه المنطقة بمجموعهم في الوقت الذي كانت تعلن قبل الآن أنها تعادي منظمة خاصة هي جبهة تحرير الجنوب، وهذا يعني أيضًا أن شعب الجنوب العربي كله اليوم يمثل جبهة التحرير، وإلا فما الذي يدعو بريطانيا إلى هذا الإجراء.

إن الاضطرابات تسود المنطقة كلها وتنذر بالحرب ضد قوات الاحتلال البريطاني، ويبدو في رأي المعقبين السياسيين أن بريطانيا لجأت إلى هذه الإجراءات حين توقف القتال في اليمن بين الجمهوريين والملكيين بعد الاتفاق الذي عقده الرئيس جمال عبدالناصر والملك فيصل، إذ إن إجراءات وقف القتال في نظر بريطانيا نقل المعركة إلى خارج حدود اليمن إلى عدن ضد الأعداء الحقيقيين للأمة العربية وللشعب العربي، وكانت بريطانيا قبل ذلك تمول العمليات الحربية ضد الجمهوريين.

إن استقالة السيد عبدالقوي المكاوي رئيس وزراء المنطقة، واستقالة

(١) مجلة الأقلام (بغداد)، الجزء الثاني، السنة الثانية، تشرين الأول ١٩٦٥م، ص٢٤٣.

الوزراء ورفضهم التنديد بالإرهاب كان يعني لدى بريطانيا إنذارًا بوجوب مغادرة المنطقة والارتحال إلى غير رجعة.

من الغريب حقًا أن تصدر بريطانيا بيانًا تعلن فيه أن كفاح شعب الجنوب العربي يثبط جهود بريطانيا للسير نحو استقلال جنوب شبه الجزيرة، ولذلك فإن حكومة صاحبة الجلالة أمرت بتعليق دستور عدن واعتبرت ذلك من إجراءات الأمن، وبذلك حل المجلس التشريعي، وصرف الوزراء، ومارس الحاكم البريطاني السلطة مباشرة، وكانت باكورة أعماله منع التجول والاعتقال الأسلوب الذي سبق للاستعمار أن مارسه في كثير من الأماكن قبل رحيله عنها.

إن شعب الجنوب مصمم على الكفاح ويطلب من الاستعمار أن يرحل.

إن لجنة تصفية الاستعمار في الأمم المتحدة أقرت استقلال الجنوب، وطالبت بتصفية القواعد فلم يبق لبريطانيا عذر، ولابد أن يقدم الشعب ضحاياه في هذا السبيل ولكنه واصل إلى مبتغاه لا محالة.

أضواء على السياسة العالمية

أبناء الجنوب العربي المحتل يفضحون مؤتمر لندن الاستعماري:[1]

وفي الرابع من تموز أي بعد أربعة أيام من انعقاد ما يسمى بمؤتمر الجنوب العربي من بريطانيا أعلن السلطان **أحمد بن عبدالله الفضلي، سلطان إمارة الفضلي** بأن سلطنته انفصلت عن الاتحاد، وقال: إن الاتحاد كان مؤامرة استعمارية تستهدف القضاء على العناصر الوطنية في شبه الجزيرة العربية، ثم وصل السلطان الفضلي إلى الجمهورية العربية المتحدة، فأدلى بتصريحات هامة بين فيها تآمر بريطانيا في الجنوب على الجمهورية اليمنية، وتآمرها على العالم العربي المتحرر.

أضواء على السياسة العالمية[2]

لعل أهم أحداث الشهر المنصرم هو إعلان الاتفاق الذي تم بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية حول مشكلة اليمن، فمن المعلوم أن موضوع اليمن دخل مرحلة جديدة منذ أن أعلن الرئيس جمال عبدالناصر في خطابه الأخير تصميمه على إنهاء حرب اليمن، حتى لو اضطر إلى نقل المعركة خارج حدودها الحالية، وكان معلومًا أن الملكيين اليمانيين يجدون العون من جهة المملكة العربية السعودية، وكانت تصريحات الرئيس جمال عبدالناصر بمثابة الإنذار لتلك الجهة، وقد شعر

(١) مجلة الأقلام،(بغداد)، الجزء الأول، السنة الأولى، أيلول ١٩٦٤م، ص١٩٤.
(٢) مجلة الأقلام (بغداد)، الجزء الأول، السنة الثانية، أيلول ١٩٦٥م، ص١٦٧.

العرب كل العرب أن خطر ما يحدق بالكيان العربي وإن الخطوات التي قد تتخذ لا تعني بحال من الأحوال - مهما حققت من نصر - نصرًا حقيقيًا لأمة العرب، وبدأت الأصوات تتعالى من المخلصين بوجوب إيجاد حل سلمي في المنطقة، ثم كان إعلان الرئيس جمال عبدالناصر في استعداده للالتقاء بالملك فيصل ووضع حد لهذه المشكلة التي لا يستفيد منها إلا أعداء العرب وأعداء الأمة العربية من صهيونية واستعمار ورجعية، ومن هنا تبدو أهمية اللقاء التاريخي بين المسؤولين العربيين، ومن هنا كذلك تظهر أهمية هذا اللقاء في نفوس العرب في كل مكان.

لقد كان الاتفاق الذي تم بين الجانبين محققًا لأهداف الأمة العربية من محيطها إلى خليجها وكان يبدأ بإيقاف القتال فورًا، والرجوع إلى الشعب اليمني ليختار نمط الحكم الذي يشاء في خطوات نص عليها في البيان المشترك الذي وضع موضع التنفيذ فورًا.

وبذلك تدخل مشكلة اليمن مرحلة جديدة نحو الحل الصحيح الذي طالما انتظره أبناء العروبة، وكان لابد من بادرة يبدؤها الرئيس العربي وتجد صدى لدى الملك فيصل فيكون الاجتماع التاريخي العتيد وتكون نقطة الانطلاق الجديدة في طريق الأمة العربية نحو الحياة الأفضل والعيش بسلام.

الاستعمار البريطاني واليمن[1]

إن النزاع القائم بين بريطانيا واليمن حول ما يسمى (مستعمرة عدن) (ومحميات اليمن) وقد زاد تعقيدًا وتوترًا في المدة الأخيرة نتيجة لخطة بريطانية استعمارية جديدة تهدف لإقامة اتحاد فيدرالي بين هذه المحميات، والغرض من هذا الاتحاد فعلاً هو عزل المحميات عزلاً تامًا عن بقية أجزاء الوطن العربي وخاصة في وطنها الأم اليمن.

إن (مؤامرة الاتحاد) هذه ليست في الواقع إلا فصلاً آخر من قصة الاستعمار البريطاني في المنطقة.

بدأت قصة الاستعمار البريطاني للجنوب العربي منذ قرنين من الزمن تقريبًا باحتلال عسكري كامل وبدون أية مقدمات، ولإعطاء عدوانهم على الأرض العربية صيغة قانونية بدأ الإنكليز بعقد معاهدات متعددة مع رؤساء القبائل المختلفة التي كانت تسكن تلك المنطقة، هذه المعاهدات توصل إليها نتيجة مفاوضات جرت بين بريطانيا وبين رؤساء القبائل بطريقة استعمارية تقليدية... حضر هذه المفاوضات من الجانب البريطاني أدهى وأذكى الدبلوماسيين في وزارة الخارجية البريطانية، ومن الجانب العربي أجهل وأبسط رؤساء القبائل الذين لم يكونوا يعرفون حتى القراءة والكتابة والذين راقت لهم أنواع الهدايا الخيول والجمال والحلوى والملابس... الخ التي كان يوزعها عليهم الإنكليز بأسلوب الترهيب والترغيب المعروف،

(١) مجلة الجمهورية، رئيس التحرير سعدون حمادي، مجلة ثقافية عامة، العدد الأول، تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٥٨م، تعريب حسين الحلاق، ص٧٠-٧٤.

تمكن الإنكليز من إقناع عدد من رؤساء القبائل بالتوقيع على (وقائع قانونية) لم يفهموا من محتواها شيئًا، ولا عجب أن ترى بريطانيا الآن تدعو هذه الوثائق الهزلية (معاهدات) قانونية توصلت إلى عقدها مع رؤساء القبائل المعنية عن طريق (المفاوضات السلمية)، وهم يرمون من وراء ذلك تبرير استيلائهم غير المشروع على عدة مناطق من جنوب اليمن ويجعلوا من هذه السرقة المفضوحة شيئًا قانونيًا.

أما الواقع فهو أن ما يسمى الآن (مستعمرة عدن والمحميات) لم يكن إلا جزء لا يتجزأ من الوطن الأم (اليمن).

ولو رجعنا إلى التاريخ لوجدنا أن حكم العائلة المالكة الحاضرة في اليمن بدأ فعلاً عام ٨٩٣هـ عندما استولى (الإمام الهادي) على الحكم لأول مرة، ويرجع الإمام الهادي بنسبه إلى الإمام علي بن أبي طالب.

ومنذ ذلك التاريخ أي منذ ٨٩٣هـ اجتاح اليمن عدد من المستعمرين الأجانب هم البرتغاليون والهولنديون والفرنسيون والبريطانيون والسويديون، وحتى الدنماركيون كانوا ضمن المستعمرين.

وفي عام ١٥٢٨م كانت عدن ترزح تحت تأثير الاحتلال العثماني، ولكن لم يمض وقت قصير على العرب حتى تمكن العرب من التغلب على الأتراك وطردهم من أرض اليمن حتى أن اليمن أصبحت تتمتع باستقلال تام كامل منذ عام ١٦٢٨م[1]، وكانت أراضيها تمتد فتشمل جميع المناطق التي تسمى الآن (مستعمرة عدن ومحمياتها)، وكان الحكام والولاة يديرون شؤون جميع هذه المناطق باسم إمام اليمن الذي دام حكمه المطلق لهذه المناطق

(١) كذا في الأصل والصواب ١٦٣٨م.

مدة مائتي سنة متوالية، ولكن ما إن جاء عام ١٧٢٨م حتى قام سلطان لحج بثورة ضد إمام اليمن، وكان من نتائجها أن هذا السلطان اقتطع لنفسه جزءًا من اليمن أسس فيه سلطنة خاصة ضمنت إليها فيما بعد سلطنة عدن، أما إمام عدن فلم يعترف بهذه الثورة ولاسيما ما نتج عنها واستمر يعتبر عدن جزءًا من مملكته بالرغم من أنه لم يستطع استعادة ما فقده بشكل فعلي، نظرًا لما كان يجابهه من مشاكل داخلية شلت قواه.

هذا الانقسام بين شطري اليمن عبد الطريق أمام التدخل السياسي، من ثم الاحتلال العسكري البريطاني للمنطقة الجنوبية من اليمن فيما بعد.

ففي عام ١٧٩٩م أرسلت بريطانيا قوة بحرية ترافقها فصيلة من المشاة لتقوم بمهمة الاحتلال والإشراف على إدارة **جزر البريم** الواقعة على سواحل لحج، وذلك للأهمية الإستراتيجية التي كانت تتمتع بها هذه الجزر بالنسبة لبريطانيا التي تحاول أن تمنع فرنسا من احتلال الهند، ولقد حاول سلطان لحج أن يقف في وجه هذا العدوان البريطاني غير أنه كان من المستحيل التغلب على جيوش الإمبراطورية البريطانية المدربة، هذا بالإضافة إلى أن إمام اليمن لم يكن في مركز يمكنه من مد يد المساعدة إلى سلطان لحج الذي كان قد تمرد على سلطة الإمام نفسه كما رأينا، ومع ذلك فإن سلطان لحج قاد حملات بطولية ضد الإنكليز واشتبك مع القوات البريطانية بقتال عنيف انتهى باندحاره واستسلامه النهائي.

وبدأت نوايا بريطانيا الاستعمارية تتضح شيئًا فشيئًا، ففي اليوم السادس من شهر سبتمبر عام ١٨٠٢م وكان قد مضى على احتلال لحج ثلاث سنوات استطاعت بريطانيا الحصول على وثيقة هي الآن تدعوها (معاهدة) تسمح لبريطانيا باعتبار ميناء عدن الحيوي مفتوح لجميع البضائع التي تحملها

السفن البريطانية.

هذه الوثيقة منحت بريطانيا أيضًا امتيازات كثيرة أخرى، مثلاً منها منح الحصانة للرعايا الإنكليز المقيمين في عدن ضد القوانين المرعية واعتبارهم مسؤولون فقط أمام قوانين التاج البريطاني.

وفي عام ١٨٣٧م أي بعد خمس وثلاثين سنة أجبر سلطان لحج على منح السلطات البريطانية امتياز آخر في منطقة عدن المجاور على شرط الإبقاء على حق السلطان في ممارسة سلطاته على شعبه في عدن، ولكن بريطانيا بعد فترة وجيزة اعترضت على استمرار ممارسة هذه السلطات خارقة بذلك نصوص الاتفاق مع السلطان، وبدأت فعلاً باحتلال منطقة عدن بالقوة العسكرية وتم لها ذلك في ١٩ كانون الثاني ١٨٣٩م، أما السلطان فقد هرب مع عائلته إلى لحج بعد أن جردته بريطانيا من سلطاته، واتفقت مع صهره ونصبته سلطانًا على المنطقة داعية إياه (السلطان الشرعي)، وكان أول عمل قام به السلطان الجديد هو توقيع (معاهدة صداقة وصلح) بين بريطانيا وبين سكان المنطقة، ولم يعترف السلطان المخلوع بشرعية السلطان الجديد ولا باحتلال عاصمة ملكه من قبل بريطانيا.

وقام بالفعل بعدة محاولات لاسترداد عاصمة ملكه وطرد جنود الاحتلال، ففي تموز ١٨٤٠م وفي أغسطس ١٨٤٦م قام هذا السلطان بشن عدة هجمات بطولية ولكنها باءت كلها بالفشل، وتوفي في ٣٠ نوفمبر ١٨٤٧م.

أساليب بريطانيا كانت تعتمد على سياسة (فرق تسد)، فلقد قامت بتجزيء المنطقة وتقسيمها إلى دويلات منفصلة مستقلة من القبائل الموجودة في المنطقة، ونصبت مشايخ القبائل رؤساء على هذه الدول دون صلاحيات

أو سلطات عملية، حيث كانت بريطانيا نفسها تضطلع بمهام الإدارة والحماية في هذه الدويلات.

قسم الجزء الغربي من الجنوب العربي إلى ثمانية عشر جزءًا، نسبة للقبائل التي كانت هناك وهي **العبدلي، الأقربي، الأميري، الحصيبي، الفضلي، العولقي، العلاوي، الصبيحي.**

وبدأت بريطانيا تخلع السلاطين والمشايخ وتنصب سلاطين ومشايخ حسب ما تقتضيه مصلحتها الخاصة، ولم يكن هناك فرق بين سلطان وسلطان أو شيخ وشيخ، فقد كان أكثرهم جاهلاً وأميًا، كانت بريطانيا تمنح السلطان سلطات قليلة جدًا وامتيازات شخصية كثيرة، ومن هذه الامتيازات مثلاً أنه كان يسمح للسلطان بزيارة عدن مرة واحدة كل سنة حيث الترف والرفاهية وجميع أنواع التسلية للسلطان الزائر، وكانت تقدم الهدايا والمنح والألقاب حسب رتبة ومنزلة الزائر عند المقيم العام البريطاني.

وكانت هناك جميع أنواع الخزعبلات والضحك على الذقون، مثلاً كان يستقبل السلطان خارج المدينة من قبل فرق الخيالة الإنكليز يرافقون السلطان حتى قلب المدينة، تسبقهم فرق الموسيقى، وكان ذلك يعتبر شرفًا عظيمًا للزائر، أما إذا علت منزلته أو ارتفعت رتبته فعند ذلك تنظم على شرفه سباقات الخيل التي يحضرها ممثل خاص عن المقيم العام البريطاني، وأما ضيوف الشرف (وهم عادة من المقربين جدًا) فكانت تطلق لهم المدافع عند وصولهم، يزداد عدد الطلقات طردًا طردًا مع ارتفاع منزلة الضيف ورتبته، هذه المظاهر والاستقبالات كانت تخلق نوعًا من التنافس بين رؤساء القبائل لاكتساب عطف ورضى المقيم العام البريطاني.

الاحتفالات ومظاهر الضيافة والاحترام هذه كانت عادة تنتهي باجتماع يعقد بين الطرفين (العربي والإنكليزي) للتفاوض في بعض القضايا الهامة، وكان الاجتماع دائمًا ينتهي بتوقيع (اتفاقية) بين الطرفين، هذه الاتفاقيات تدعوها بريطانيا في الوقت الحاضر (معاهدات) منها:

١- معاهدة عقدت مع **قبيلة العبدلي** في ٤ شباط **١٨٣٩**م تضمن سلامة طرق القوافل إلى عدن، وهناك أيضًا معاهدتان مماثلتان عقدت إحداهما مع قبيلة **الحصيبي ١٨٣٩**م، والثانية مع قبيلة **الضهلي** في مارس ١٨٨١م.

٢- معاهدة عقدت مع قبيلة **العبدلي** في ٧ آذار **١٨٤٩**م، ومع قبيلة **الفضلي** في ٦ مارس **١٨٧٢**م، وبموجب هذه المعاهدة ألغيت جميع الرسوم التي كانت تفرض على البضائع الإنكليزية المارة في أراضي القبيلتين المذكورتين.

ويمضي أربعون عامًا دخلت السياسة البريطانية في مرحلة عقد معاهدات (**العلاقات الودية**)، (**وضمان سلامة طرق القوافل**)، (**وإلغاء رسوم الترانزيت**) إلى مرحلة عقد (معاهدات الحماية) وتعهد المشايخ والسلاطين بموجب معاهدات الحماية ألا يتعاملوا مع أية دولة أو يقيموا أية علاقات مع أي جهة بدون علم وموافقة الحكومة البريطانية، وتنطبق هذه الشروط أيضًا على علاقات هذه المحميات مع الوطن الأم اليمن وبقية البلدان العربية، عقدت بريطانيا معاهدة أخذت تداعب مخيلتها فكرة القيام بدور الوسيط بين القبائل العربية المتخاصمة واستغلالها هذه الخصومات لصالح التاج البريطاني.

وبالفعل فإنها بدأت تعرض وساطتها وخدماتها على تلك القبائل

ونجحت مهمتها في عدة مناسبات، فمثلاً تمكنت من إقناع قبيلتي **الفضلي والعبدلي** بوجوب عقد اتفاقية بينهما بشأن مشاكل الحدود المتنازع عليها، وفعلاً وقعت هذه المعاهدة بين القبيلتين في ٣ مارس ١٨٨١م.

ولكن بريطانيا كانت لها طريقتها الخاصة في عرض وساطتها، فقد كانت تعليمات الحكومة البريطانية في بومباي (الهند) تقضي بعدم التدخل في الصراع القائم بين القبائل إلا بعد أن يدوم الصراع والقتال بينهم وقتًا طويلاً يجعلهم في حالة نفسية يكونون فيها على أتم الاستعداد لقبول أية وساطة من أية جهة بعد أن أنهكهم القتال، كما أن التعليمات تقضي بعدم التدخل إلا بحالات خاصة وظروف معينة، فمثلاً إذا أظهرت إحدى القبائل أي نوع من المعارضة أو المقاومة للإدارة الإنكليزية فإن التعليمات تقضي بوجوب استعمال ما كان يسمى بسياسة (العصا الكبيرة) لتأديب القبيلة العاقة، والأساليب البريطانية في القضاء على حركات المعارضة لحكمهم كانت متعددة ومتنوعة، منها فرض الإقامة الجبرية في عدن على أبناء المشايخ والسلاطين واعتبارهم كرهائن دائمين، والتهديد بقتلهم فيما إذا فكر آباؤهم بعدم إطاعة أوامر المقيم العام البريطاني، ومنها أيضًا نفي السلاطين والمشايخ أنفسهم إلى بومباي، إذ بدرت منهم بوادر المعارضة للحكم الإنكليزي، وليس هذا فقط بل إن قرى كاملة دمرت عن آخرها عندما أظهرت بعض الاستياء من الحكم البريطاني، حتى أن بريطانيا استعملت الغارات الجوية بعد ١٩١٩م على بعض القرى المتمردة بقصد تأديبها.

ودامت هذه الحالة حتى قبيل انتهاء الحرب العالمية الثانية بقليل، حينما شعرت بريطانيا بأن سيطرتها قد ضعفت في المنطقة نتيجة الحرب، فما كان

منها أن بدأت بمحاولة إعادة تنظيم إدارتها لهذه المناطق عن طريق عقد (معاهدات حماية) جديدة أو تعديل المعاهدات القديمة بشكل يضمن لها إعادة سيطرتها ونفوذها في المنطقة.

ولكنها فوجئت بحركة مقاومة ومعارضة بدأت تظهر في المنطقة، وعلى مستوى شعبي هذه المرة، وهنا بدأت بريطانيا بسياسة الاضطهاد والسجن والنفي للقضاء على هذه الحركة.

واليوم وبعد أن تأكد فشل سياسة الاضطهاد في إضعاف الحركة القومية في الجنوب العربي نرى أن بريطانيا بدأت تحاول تأسيس نظام جديد للمحميات يهدف إلى إقامة اتحاد فيدرالي بينها.

إن ما تأمله بريطانيا من وراء ذلك هو تقوية وزيادة سلطان الحاكم البريطاني المقيم في عدن، وهذا يتطلب مركزية في الحكم تكون السلطات فيها بيد الحاكم البريطاني، وهذا يأتي عن طريق انتزاع ما تبقى من سلطات قليلة في أيدي السلاطين والمشايخ المحليين.

إن فكرة إقامة اتحاد بين المحميات هي في الواقع فكرة قديمة ولها تاريخ، وهي تختلف عن الاتحادات الأخرى في أن لها مميزات خاصة فيها، ففي ١٧ آذار ١٩٣١م اقترحت بريطانيا إقامة اتحاد يضم جميع المناطق التابعة لعدن؛ وكانت تهدف من ذلك إلى خلق كتلة قوية تستطيع حماية الحدود المصطنعة التي فرضتها بالقوة والإبقاء عليها، وقد جاء في ذلك الاقتراح (أن هدف حكومة عدن العاصمة الفعلية للمحميات).

هذه الفكرة القديمة أخذت بالانتعاش من جديد، وبدأت بريطانيا تعمل

على تنفيذها فقامت بالدعوة لعقد مؤتمر في ٧ كانون الثاني ١٩٥٤م، يضم مشايخ وأمراء وسلاطين المحميات في هذا الأمر.

وقد أجابت المملكة اليمنية على المؤتمر باحتجاج رسمي تقدمت به إلى هيئة الأمم المتحدة تتحدى فيه حق بريطانيا في وضع هذه المنطقة تحت إدارتها، في حين أن المنطقة جزء لا يتجزأ من المملكة اليمنية، ولقد بين ممثل اليمن في الأمم المتحدة أن الهدف من إقامة الاتحاد في الواقع لا يتعدى كونه محاولة بريطانية في السيطرة المطلقة على كل منطقة جنوبي اليمن، وبالتالي فصلها نهائيًا عن وطنها الأم هذا بالإضافة إلى أن بريطانيا تريد استغلال الموارد الطبيعية الغنية في هذه المنطقة، وتحويلها إلى قاعدة عسكرية تهدد سلامة الوطن العربي الأمر الذي يتعارض ورغبات سكان المنطقة ويتناقض مع ميثاق الأمم المتحدة.

في هذه الأثناء كان مجلس جامعة الدول العربية قد اتخذ عدة قرارات تأييد اليمن (في موقفها من قضية المحميات)، كما أن الدول الأفريقية - الآسيوية المشتركة في مؤتمر باندونغ - وعددها تسع وعشرون دولة - اتخذت قرارًا مماثلاً فيما يخص القضية في اجتماعها المنعقد في ٢٤ نيسان ١٩٥٥م تؤيد فيه موقف اليمن وتحث الطرفين المعنيين (اليمن وبريطانيا) على الوصول إلى تسوية سلمية للنزاع القائم حول المحميات.

إن بريطانيا في الوقت الذي تعارض فيه كل محاولة للوحدة بين دول الجامعة العربية تتزعم فكرة اتحاد المحميات بكل صفاقة وبرود وقح.

السؤال هنا: لماذا كل هذا الحماس البريطاني للاتحاد الفيدرالي بين المحميات بينما هي تعارض في كل مناسبة اتحاد المحميات نفسها مع اليمن، بل إنها تعارض أي اتحاد من أي نوع بين الدول العربية الأخرى، إن الحقائق في هذه القضية نفسها تعطي الجواب على هذا السؤال أن أرض الجنوب العربي احتلت بالقوة من قبل بريطانيا في القرن الثامن عشر.

هذا الاعتداء لا يمنح بريطانيا أية حقوق، بل على العكس إنه يفرض واجبًا على الشعب المحتل في أن يقاوم ويعارض ويثور ضد القوى المحتلة؛ لكي يضع حدًا ونهاية للسيطرة الأجنبية، ولكي يصبح الشعب العربي هناك سيد أرضه.

إن السيادة على هذه المنطقة حق لليمن وحدها، وأن اليمن لم تعترف قط بشرعية أي من المعاهدات التي عقدت بين بريطانيا، وأن معاهدات الحماية التي عقدت ليس لها أية قيمة قانونية مطلقًا؛ لأن هذه المعاهدات لم تنعقد بين طرفين متعادلين أو بين دولتين مستقلتين، وإنما عقدت بين بريطانيا وبين عدة أفراد لم يكن لديهم الصلاحية أو السلطة لعقد مثل هذه المعاهدات التي تكبل شعبًا بكامله وتقرر مصير أمة بكاملها، هؤلاء الأفراد نفسهم كانوا ضحية الفساد والخداع والمؤامرات البريطانية.

ومن ناحية أخرى فإن بريطانيا مرتبطة بمعاهدة عقدتها مع المملكة اليمنية عام **١٩٣٤**م هذه هي (**معاهدة صنعاء**) وتعترف بريطانيا بموجبها بالإمام ملكًا على اليمن، كما أن الإمام بموجب المعاهدة يوافق على الإبقاء على الوضع القائم في الجنوب العربي حتى عام **١٩٧٤**م موعد انتهاء الاتفاقية لكن الإمام

لم يعترف مطلقًا بقانونية أو شرعية احتلال بريطانيا للمحميات.

وهكذا كانت معاهدة صنعاء تجمد الوضع والحدود الحالية بشكل وقتي بأمل الوصول إلى حل سلمي عادل قبل انتهاء مدة المعاهدة في عام ١٩٧٤م، وكذلك فإن المعاهدة لم تعد بريطانيا بأية حقوق أو امتيازات، ولذلك فليس بإمكان بريطانيا الادعاء بأية مكاسب في هذه الاتفاقية.

وما دام ليس لبريطانيا حقوق شرعية قانونية تسمح لها باحتلال القسم الجنوبي من اليمن، فإنها الآن تدعو المحميات التي خلقتها هي نفسها للاتحاد والتكتل ضد (الأجنبي الذي هو الوطن الأم - اليمن).

إن الوحدة العربية الشاملة لا الاتحادات الاستعمارية هو ما يناضل العرب من أجله اليوم، وأن الشعب الذي يؤمن جزء أنه من أمة عربية واحدة لا يمكن أن يقبل باتحاد فيدرالي هزيل يرأسه حاكم بريطاني في عدن.

من الواضح إذن أن مستقبل الوحدة العربية ومصير الشعب العربي ليس في يد بريطانيا، وأما إذا كان هناك قلة من العرب يعملون لمصلحة بريطانيا نتيجة جهل أو مرض في النفس، فهذا لا يعني أن مصلحة بريطانيا هي مع هذه القلة، بل هي في الواقع مع الأمة العربية جمعاء، وهي الآن في فجر نهضتها إنما تكافح الاستعمار والرجعية، وتعمل على تحقيق تعاون دولي يقوم على أساس من التفاهم والمساواة بين دول العالم أجمع.

في رياض الفكر العربي[1]

عدن:

ازداد نضال إخواننا في عدن شدة وضراوة ضد الاستعمار البريطاني الغاشم.

القرارات والتوصيات السياسية[2]

مقررات وتوصيات المؤتمر الثقافي للكتاب الآسيويين - الإفريقيين الذي عقد في القاهرة بين ١٢-١٦ شباط ١٩٦٢م.

الجنوب العربي:

- يحيي المؤتمر شعب الجنوب ويؤيده ضد الإمبريالية البريطانية في سبيل حصوله على الاستقلال والسيادة وتحقيق وحدة بلاده.

- يندد بالقواعد العسكرية التي أقامها البريطانيون في عدن، ويطالب بالانسحاب منها فورًا.

- يدعو الشعوب الإفريقية الآسيوية وكتابها لتأييد شعوب الجنوب العربي في نضاله العادل ضد التعسف والطغيان.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(١) مجلة المثقف (بغداد)، مجلة فكرية عامة، العدد الثاني، السنة الأولى، تشرين الثاني ١٩٥٨م، ص١٢٧.

(٢) مجلة المثقف (بغداد)، مجلة فكرية عامة، العدد الثامن والعشرون، السنة الخامسة تموز ١٩٦٢م، ص٩٥.